جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي

عنوان المحاضرة: المنصور وبناء بغداد

أسم التدريسي : أ.د. صباح جاسم حمد

الإيميل الجامعي للتدريسي : sabah_jasim@tu.edu.iq

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد

ارتبطت بغداد بشهرتها وعظمتها ببناني عزها ومجدها الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي كانت له انجازات كبيرة وعظيمة، كان أبرزها على الإطلاق والتي اقترن اسمها باسمه هو بناؤه لمدينة بغداد، وبقيت ذكرى هذه المدينة العظيمة كونها أعظم عاصمة للخلافة العباسية على مدى تأريخها الطويل بقيت تتوالى على مر الزمان والدهور على لسان الخلفاء والوزراء والأمراء والأدباء والشعراء كأعظم رمز لأعظم حاضرة لما تمثله من قمة سامقة من قمم التاريخ الحضاري الإسلامي استمر حتى عصرنا الحاضر.

فقد ظل العباسيون قبل ذلك ثلاثة عشر عاما منذ استلامهم للحكم من بني أمية دون عاصمة، ولعل ذلك يعود لأسباب كثيرة أهمها الأمور السياسية التي كانت لا تزال عالقة دون حل بدءا بأول خليفة عباسي وهو السفاح الذي تنقل بين ثلاثة أماكن مختلفة دون أن يضع حلا لمشكلة العاصمة، لذلك كان لزاما على العباسيين أن يضعوا حلا مرضيا يوازي طموحاتهم وتطلعاتهم.

وعندما آلت الخلافة الى المنصور فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأيا وحزما ودهاء وجبروتا أدرك أهمية بناء قلعة العباسيين الحصينة ترضي طموحاته وتطلعاته، كونه من عظماء الملوك وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة. لذلك لم يتردد في اختيار عاصمته بعد أن ترك هاشمية الكوفة لأنها لم تكن منيعة، وكذلك لقربها من الكوفة التي لم يكن ولاؤها كاملا للعباسيين.

وبعد التقصي والتحري والدراسة الدقيقة التي أجراها المنصور بنفسه، وقع اختياره على بغداد لأسباب عديدة، منها سياسية وعسكرية واقتصادية وجغرافية ومناخية. وكان أهم تلك الدوافع هي السياسية، فقد تعدر على العباسيين اتخاذ دمشق عاصمة لهم نظرا لما تكنه من إخلاص وولاء لبني أمية، وبقيت ذكراها أليمة في نفوسهم بعد الثورة العباسية، وكذلك فان دمشق مدينة عربية في طابعها وبيئتها وبعيدة عن بلاد فارس مصدر قوة العباسيين، فكانت لهم مصلحة خاصة في نقل حاضرتهم ناحية الشرق.

أما من الناحية الجغرافية فإن موقعها المتميز على نهر دجلة، أعطاها جانبا عمرانيا مهما بسبب إمكانية قيام العمران على جانبي النهر، بينما العمارة على نهر الفرات تقتصر على ضفته الشرقية فقط، ويروي المقدسي واليعقوبي أن المنصور استشار أهل بغداد قبل البناء فقالوا له: (إنك ستنزل بين نخل وماء، ثم لاحظ وقوعها وسط العراق وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله وأنت قريب من البر والبحر والجبل).

وانتبه المنصور لأهمية وقوعها على الطرق التجارية لأن ذلك يكفل تموينها ويسهل الاتصال بينها وبين أنحاء المملكة ويشجع التجارة فقال: (هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة)، ولذلك وصفها بقوله: (انها مشرعة للدنيا).

لقد أدرك المنصور المخاطر التي أحاطت بدولته الناشئة، والتي تهدف الى تقويض حكم الأسرة العباسية، لذا عمد الى الاهتمام بتحصين موقعها فقد قيل له: (وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فاذا قطعت الجسر

وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك...)

ثم عنى بتحصينها فأحاطها بسورين يدور حولهما خندق، وجعل على كل من أبوابها الأربع برجا للحرس، ووضع لها أبوابا حديدية محكمة. وأعجب المنصور بطيب هواء بغداد ومناخها وجودة غذائها وتوافر سبل المعيشة فيها، لأنها كانت مزدهرة زراعيا ومرتبطة بقنوات للري منظمة تنظيما دقيقا، وسماها المنصور مدينة السلام تيمنا بجنة الخلد، أو لأن وادي دجلة كان يقال له وادي السلام.

شرع المنصور في بناء عاصمته عام ١٤٥ هـ وانتهى منها عام ١٤٩هـ، وكان من بين من استعان بهم المنصور في ضبط العمل كمراقبين ومشرفين الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ووضع المنصور بنفسه اللبنة الأولى ثم قال: (باسم الله، والحمد لله، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله). وكان أبو حنيفة هو القائم على بناء المدينة والمتولي لضرب اللبن.

اختار الخليفة لمدينته شكلا مدورا، وهذا الشكل من إبداع المنصور وابتكاره، مما يدل على سعة أفقه في الهندسة والبناء، ويؤيد هذا الرأي ما ذكره الخطيب البغدادي أن المنصور لما

عزم على بناء بغداد أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين فمثل لهم صفتها التي في نفسه. ثم اختطها وجعلها مدورة.

كان هذا الاهتمام البالغ بهندستها والإصرار على الإبداع فيها يؤكد عزم المنصور على بنائها فقد وقف عليها وقال: (والله لأبنيها ثم أسكنها أيام حياتي، ويسكنها ولدي من بعدي، ثم لتكونن أعمر مدينة في الأرض)

ثم هيأ المنصور كل مستلزمات العمل ومتطلباته، فأمر بإحضار آلاف العمال، بالإضافة الى الاختصاصيين من صناع ونجارين وحدادين وحفارين وبنائين مختلف الأمصار، فلما اجتمعوا وتكاملوا أجرى عليهم الأرزاق وأقام استقدمهم من لهم الأجرة وكتب الى كل بلد في حمل من يفهم شيئا من البناء، فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات، ثم انه لم يبتدأ البناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن مائة ألف، ثم أعد جميع ما تحتاج اليه المدينة من آلات البناء والخشب والصاج وغيرها، وحفرت الآبار وعملت قناة تأخذ الماء من نهر كرخايا فأجريت المياه الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين.

أشرف على البناء عدد من المهندسين المحترفين الذين عملوا في بناء المدينة، ويعتبر المخطط الذي نفذه المنصور مبتكرا، فقد جعل المدينة مستديرة تحيط بها أسوار مزدوجة تؤلف حلقتين متتابعتين، وهذا اتجاه جديد في فن بناء المدن الإسلامية. ويروي الخطيب ان من مزية الاستدارة وجود مركز المدينة على مسافات متساوية من أجزاء الدائرة، كما انه يعرض المدينة للشمس والهواء.

وشيدت بداخل المدينة قصر الخليفة الذي يعتبر من المعالم العمرانية المتميزة وبناه وسط الرحبة العظمى وسماه (قصر الذهب) الذي اكتسب أهمية سياسية كبيرة بعد أن أصبح المقر الرسمي للخليفة يدير من خلاله أمور الدولة، ثم بنى في صدر القصر القبة الخضراء التي يرتفع رأسها عن الأرض بمقدار ثمانين ذراعا، وكانت هذه القبة من الجمال الهندسي والمعماري ما جعل ابن الجوزي والخطيب البغدادي أن يبديا إعجابهما بها بقولهم: (وكانت هذه القبة تاج بغداد، وعلم البلد، ومأثرة من مأثر بني العباس).

وبالإضافة الى هذا القصر فقد بنى المنصور قصرا ثانيا وجعله مقرا آخر سنة ١٥٨هـ على شاطئ نهر دجلة سماه (قصر الخلد)، ثم بنى المسجد الجامع وقصور أولاده ودواوين الحكومة، ولم يكن يسمح لأحد بركوب الخيل أو غيرها من الدواب داخل المدينة للمحافظة على نظافتها، فكانت تكنس وترش بالماء كل يوم، وأن من يريد القصر عليه الترجل عند مداخل المدينة ويسير ماشيا على الأقدام.

أما الأسواق فقد جعلها المنصور في جنوب المدينة في ربض الكرخ، كما بني فيه مسجدا خاصا يصلي فيه أهل الأسواق حتى لا يدخلوا المدينة. وقد وصف اليعقوبي أسواق الكرخ بقوله: (ولكل تجارة شوارع وحوانيت معلومة، ولا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، فكل أهل تجارة منفردين بتجارتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم).

أنفق المنصور على بناء بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار. وبعد أن بناها جاء بالعلماء من كل البلاد والأقاليم ليسهموا بنشر العلم والثقافة، ولم تزل تتعاظم ويزداد عمرانها حتى امتد بين بغداد الغربية والشرقية واختفى الخندق المحيط بها فصارت ممتدة على جانبي نهر دجلة شرقا وغربا، حتى صارت أم الدنيا وسيدة البلاد ومهد الحضارة الإسلامية في عهد الدولة العباسية، وأربى سكانها على مليونين. وأمام كثرة الوافدين الى عاصمة الخلافة أجمل وأعظم مدن العالم آنذاك كان لا بد للمنصور أن يهتم بحفظ الأمن والنظام فيها، فعين على أبوابها جندا مهمتهم حفظ أمن أهل بغداد والوافدين اليها على السواء.

لم يكتف المنصور ببناء بغداد، وكانت له تطلعات كبيرة ونظرة بعيدة للأحداث، ففي عام ١٥١هـ بنى المنصور مدينة الرصافة أو بغداد الشرقية لابنه المهدي على الجانب الشرقي من دجلة مقابل مدينة بغداد الغربية ثم ربط بين المدينتين بثلاثة جسور على نهر دجلة، وعرفت هذه المدينة باسم (عسكر المهدي) لتكون معسكرا للجيش الخراساني الذي يقوده ابنه المهدي وتعود لأسباب استراتيجية، حيث وضع المهدي جنده فيها ليكون من في خارج مدينة المنصور عونا في قمع الاضطرابات التي قد تنشب داخلها، وانتهى بناؤها عام ١٥٩ هـ في عهد الخليفة المهدي. ثم ما لبثت الرصافة أن نمت وازدهرت حتى فاقت بغداد حسنا واتساعا فامتدحها الكثير من الشعراء، ومنهم الشاعر العباسي علي بن الجهم فقال شعره المشهور:

وبعد أن أتم المنصور بناءها أطلق عليها المسلمون أسماء كثيرة، فقالوا مدينة المنصور نسبة الى مؤسسها، والمدينة المدورة نسبة الى شكلها الدائري، ومدينة السلام أو دار السلام تشبيها لها بالجنة، وسموها كذلك الزوراء لأن مداخلها كانت مزورة أو منحنية على شكل دهاليز ومنعطفات ملتوية لأغراض دفاعية.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد

ارتبطت بغداد بشهرتها وعظمتها بباني عزها ومجدها الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي كانت له انجازات كبيرة وعظيمة، كان أبرزها على الإطلاق والتي اقترن اسمها باسمه هو بناؤه لمدينة بغداد، وبقيت ذكرى هذه المدينة العظيمة كونها أعظم عاصمة للخلافة العباسية على مدى تأريخها الطويل بقيت تتوالى على مر الزمان والدهور على لسان الخلفاء والوزراء والأمراء والأدباء والشعراء كأعظم رمز لأعظم حاضرة لما تمثله من قمة سامقة من قمم التاريخ الحضاري الإسلامي استمر حتى عصرنا الحاضر.

فقد ظل العباسيون قبل ذلك ثلاثة عشر عاما منذ استلامهم للحكم من بني أمية دون عاصمة، ولعل ذلك يعود لأسباب كثيرة أهمها الأمور السياسية التي كانت لا تزال عالقة دون حل بدءا بأول خليفة عباسي وهو السفاح الذي تنقل بين ثلاثة أماكن مختلفة دون أن يضع حلا لمشكلة العاصمة، لذلك كان لزاما على العباسيين أن يضعوا حلا مرضيا يوازي طموحاتهم وتطلعاتهم.

وعندما آلت الخلافة الى المنصور فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأيا وحزما ودهاء وجبروتا أدرك أهمية بناء قلعة العباسيين الحصينة ترضي طموحاته وتطلعاته، كونه من عظماء الملوك وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة. لذلك لم يتردد في اختيار عاصمته بعد أن ترك هاشمية الكوفة لأنها لم تكن منيعة، وكذلك لقربها من الكوفة التي لم يكن ولاؤها كاملا للعباسيين.

وبعد التقصي والتحري والدراسة الدقيقة التي أجراها المنصور بنفسه، وقع اختياره على بغداد لأسباب عديدة، منها سياسية وعسكرية واقتصادية وجغرافية ومناخية. وكان أهم تلك الدوافع هي السياسية، فقد تعدر على العباسيين اتخاذ دمشق عاصمة لهم نظرا لما تكنه من إخلاص وولاء لبني أمية، وبقيت ذكراها أليمة في نفوسهم بعد الثورة العباسية، وكذلك فان دمشق مدينة عربية في طابعها وبيئتها وبعيدة عن بلاد فارس مصدر قوة العباسيين، فكانت لهم مصلحة خاصة في نقل حاضرتهم ناحية الشرق.

أما من الناحية الجغرافية فإن موقعها المتميز على نهر دجلة، أعطاها جانبا عمرانيا مهما بسبب إمكانية قيام العمران على جانبي النهر، بينما العمارة على نهر الفرات تقتصر على ضفته الشرقية فقط، ويروي المقدسي واليعقوبي أن المنصور استشار أهل بغداد قبل البناء فقالوا له: (إنك ستنزل بين نخل وماء، ثم لاحظ وقوعها وسط العراق وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله وأنت قريب من البر والبحر والجبل).

وانتبه المنصور لأهمية وقوعها على الطرق التجارية لأن ذلك يكفل تموينها ويسهل الاتصال بينها وبين أنحاء المملكة ويشجع التجارة فقال: (هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة)، ولذلك وصفها بقوله: (انها مشرعة للدنيا).

لقد أدرك المنصور المخاطر التي أحاطت بدولته الناشئة، والتي تهدف الى تقويض حكم الأسرة العباسية، لذا عمد الى الاهتمام بتحصين موقعها فقد قيل له: (وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فاذا قطعت الجسر

وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك...)

ثم عنى بتحصينها فأحاطها بسورين يدور حولهما خندق، وجعل على كل من أبوابها الأربع برجا للحرس، ووضع لها أبوابا حديدية محكمة. وأعجب المنصور بطيب هواء بغداد ومناخها وجودة غذائها وتوافر سبل المعيشة فيها، لأنها كانت مزدهرة زراعيا ومرتبطة بقنوات للري منظمة تنظيما دقيقا، وسماها المنصور مدينة السلام تيمنا بجنة الخلد، أو لأن وادي دجلة كان يقال له وادي السلام.

شرع المنصور في بناء عاصمته عام ١٤٥ هـ وانتهى منها عام ١٤٩هـ، وكان من بين من استعان بهم المنصور في ضبط العمل كمراقبين ومشرفين الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ووضع المنصور بنفسه اللبنة الأولى ثم قال: (باسم الله، والحمد لله، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله). وكان أبو حنيفة هو القائم على بناء المدينة والمتولي لضرب اللبن.

اختار الخليفة لمدينته شكلا مدورا، وهذا الشكل من إبداع المنصور وابتكاره، مما يدل على سعة أفقه في الهندسة والبناء، ويؤيد هذا الرأي ما ذكره الخطيب البغدادي أن المنصور لما عزم على بناء بغداد أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين فمثل لهم صفتها التي في نفسه. ثم اختطها وجعلها مدورة.

كان هذا الاهتمام البالغ بهندستها والإصرار على الإبداع فيها يؤكد عزم المنصور على بنائها فقد وقف عليها وقال: (والله لأبنيها ثم أسكنها أيام حياتي، ويسكنها ولدي من بعدي، ثم لتكونن أعمر مدينة في الأرض)

ثم هيأ المنصور كل مستلزمات العمل ومتطلباته، فأمر بإحضار آلاف العمال، بالإضافة الى الاختصاصيين من صناع ونجارين وحدادين وحفارين وبنائين مختلف الأمصار، فلما اجتمعوا وتكاملوا أجرى عليهم الأرزاق وأقام استقدمهم من لهم الأجرة وكتب الى كل بلد في حمل من يفهم شيئا من البناء، فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات، ثم انه لم يبتدأ البناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن مائة ألف، ثم أعد جميع ما تحتاج اليه المدينة من آلات البناء والخشب والصاج وغيرها، وحفرت الآبار وعملت قناة تأخذ الماء من نهر كرخايا فأجريت المياه الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين.

أشرف على البناء عدد من المهندسين المحترفين الذين عملوا في بناء المدينة، ويعتبر المخطط الذي نفذه المنصور مبتكرا، فقد جعل المدينة مستديرة تحيط بها أسوار مزدوجة تؤلف حلقتين متتابعتين، وهذا اتجاه جديد في فن بناء المدن الإسلامية. ويروي الخطيب ان من مزية الاستدارة وجود مركز المدينة على مسافات متساوية من أجزاء الدائرة، كما انه يعرض المدينة للشمس والهواء.

وشيدت بداخل المدينة قصر الخليفة الذي يعتبر من المعالم العمرانية المتميزة وبناه وسط الرحبة العظمى وسماه (قصر الذهب) الذي اكتسب أهمية سياسية كبيرة بعد أن أصبح المقر الرسمي للخليفة يدير من خلاله أمور الدولة، ثم بنى في صدر القصر القبة الخضراء التي يرتفع رأسها عن الأرض بمقدار ثمانين ذراعا، وكانت هذه القبة من الجمال الهندسي والمعماري ما جعل ابن الجوزي والخطيب البغدادي أن يبديا إعجابهما بها بقولهم: (وكانت هذه القبة تاج بغداد، وعلم البلد، ومأثرة من مأثر بني العباس).

وبالإضافة الى هذا القصر فقد بنى المنصور قصرا ثانيا وجعله مقرا آخر سنة ١٥٨هـ على شاطئ نهر دجلة سماه (قصر الخلد)، ثم بنى المسجد الجامع وقصور أولاده ودواوين الحكومة، ولم يكن يسمح لأحد بركوب الخيل أو غيرها من الدواب داخل المدينة للمحافظة على نظافتها، فكانت تكنس وترش بالماء كل يوم، وأن من يريد القصر عليه الترجل عند مداخل المدينة ويسير ماشيا على الأقدام.

أما الأسواق فقد جعلها المنصور في جنوب المدينة في ربض الكرخ، كما بني فيه مسجدا خاصا يصلي فيه أهل الأسواق حتى لا يدخلوا المدينة. وقد وصف اليعقوبي أسواق الكرخ بقوله: (ولكل تجارة شوارع وحوانيت معلومة، ولا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، فكل أهل تجارة منفردين بتجارتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم).

أنفق المنصور على بناء بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار. وبعد أن بناها جاء بالعلماء من كل البلاد والأقاليم ليسهموا بنشر العلم والثقافة، ولم تزل تتعاظم ويزداد عمرانها حتى امتد بين بغداد الغربية والشرقية واختفى الخندق المحيط بها فصارت ممتدة على جانبي نهر دجلة شرقا وغربا، حتى صارت أم الدنيا وسيدة البلاد ومهد الحضارة الإسلامية في عهد الدولة العباسية، وأربى سكانها على مليونين. وأمام كثرة الوافدين الى عاصمة الخلافة أجمل وأعظم مدن العالم آنذاك كان لا بد للمنصور أن يهتم بحفظ الأمن والنظام فيها، فعين على أبوابها جندا مهمتهم حفظ أمن أهل بغداد والوافدين اليها على السواء.

لم يكتف المنصور ببناء بغداد، وكانت له تطلعات كبيرة ونظرة بعيدة للأحداث، ففي عام ١٥١هـ بنى المنصور مدينة الرصافة أو بغداد الشرقية لابنه المهدي على الجانب الشرقي من دجلة مقابل مدينة بغداد الغربية ثم ربط بين المدينتين بثلاثة جسور على نهر دجلة، وعرفت هذه المدينة باسم (عسكر المهدي) لتكون معسكرا للجيش الخراساني الذي يقوده ابنه المهدي وتعود لأسباب استراتيجية، حيث وضع المهدي جنده فيها ليكون من في خارج مدينة المنصور عونا في قمع الاضطرابات التي قد تنشب داخلها، وانتهى بناؤها عام ١٥٩ هـ في عهد الخليفة المهدي. ثم ما لبثت الرصافة أن نمت وازدهرت حتى فاقت بغداد حسنا واتساعا فامتدحها الكثير من الشعراء، ومنهم الشاعر العباسي علي بن الجهم فقال شعره المشهور:

عيــون المهــا بــين الرصــافة والجســر جلــبن الهــوى مــن حيــث أدري ولا أدري

وبعد أن أتم المنصور بناءها أطلق عليها المسلمون أسماء كثيرة، فقالوا مدينة المنصور نسبة الى مؤسسها، والمدينة المدورة نسبة الى شكلها الدائري، ومدينة السلام أو دار السلام تشبيها لها بالجنة، وسموها كذلك الزوراء لأن مداخلها كانت مزورة أو منحنية على شكل دهاليز ومنعطفات ملتوية لأغراض دفاعية.